

أ. الهاشمي مليك. جامعة البليدة 2.

ملخص:

إن التغير الاجتماعي الذي عرفته الجزائر في مراحل تاريخها الحديث، انعكس على العديد من المؤشرات ذات العلاقة المباشرة بالبناء الاجتماعي، وعلى رأسها الشغل والتعليم ونقط الأسرة وغيرها. ومن جهة أخرى كان للتحول الديمغرافي بمراحله الثلاث التي عرفتها الجزائر، علاقة جد مباشرة، مع التغير في مستويات هذه المؤشرات، وهو ما يدل على وجود علاقة قوية بينها وهو ما أطلقنا عليه في مقالنا هذا اسم التغير السوسيوديمغرافي، والذي حاولنا من خلاله ربط التغيرات الاجتماعية والمختلفة في مؤشر الشغل كوجه الأساسي، مع التحول الديمغرافي المستند إلى التغيرات في معدلات النمو والولادات والوفيات.

ومن خلال استخدامنا للمنهج التحليلي الوصفي، نستنتج وجود هذا التغير ما يؤكد أن التحول الديمغرافي جزء لا يتجزأ من التحول الاجتماعي، والذي يمكن القول أنه تلازمي لدى الدول، استنادا على معطيات دول أخرى، خصوصا تلك التي تخطت أغلب مراحل التحول الديمغرافي.

مقدمة:

لقد عرف العالم العربي في الفترة ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية جملة من التطورات و التغيرات، مست مختلف بنياته الاجتماعية و السياسية وحتى الاقتصادية، تلك العوامل مشتركة ساهمت في إيجاد نموذج جديد للعالم العربي يختلف ابستومولوجيا عن نماذجه السابقة التي اختلفت فيما بينها من نواحي عديدة خاصة الاقتصادية منها، إلا أن هذا الاختلاف مس السلوكات الديموغرافية أيضا، لبقى التشابه حاصلًا في شكلها العام الذي مس العالم العربي قاطبة، فعلى الصعيد العربي عموما والجزائري خصوصا امتازت الثقافة السكانية بالتشجيع على الزيادة والحث على إنجاب، لكن حصول الانفتاح الثقافي والتغير في النشاط الصناعي ساهم نمط متشابه جسده مجموعة من التغيرات شملت مختلف مكونات البناء الثقافي، الاقتصادي و حتى السكاني، لنحصل على عدد من المراحل سبق لدول أخرى المرور بها، مشكلة بذلك نمطا عاما يتشابه كثيرا من ناحية العوامل والمسببات وحتى النتائج، وهو ما أطلقنا عليه بالتحول السوسيوديمغرافي.

(1) تعريف التغير الاجتماعي:

عندما نأخذ بعين الاعتبار متغير الزمن، وتتبع أحوال المجتمع، أو أجزاء منه، فننظر في حركته ومصادرها، وما تشمله هذه الحركة من عمليات اجتماعية ديناميكية، ونلاحظ ما يلحق بالمجتمع من عوارض وتحولات، فإننا نبحث في التغير الاجتماعي

الثقافي، والتغير من الخصائص الثابتة المستمرة تاريخيا، يختلف في معدل حدوثه ومداه من مجتمع إلى آخر، كما قد يختلف في هذا بين أجزاء المجتمع الواحد. ولقد كان التغير كعملية اجتماعية ثقافية من المحاور الأساسية في البحوث الاجتماعية، ولهذا نجح له تعريفات كثيرة منها على سبيل المثال تعريف ماكينوس الذي عرفه " بالتحول في تنظيم المجتمع، وفي أنماط الفكر والسلوك عبر الزمن"، أما ريتز فيقول " أن التغير الاجتماعي يشير إلى التباين التاريخي في العلاقات بين الأفراد والجماعات والتنظيمات والثقافات والمجتمعات، ويعرفه فارلي بأنه التبدل في أنماط السلوك والعلاقات الاجتماعية والنظم والبناء الاجتماعي.¹

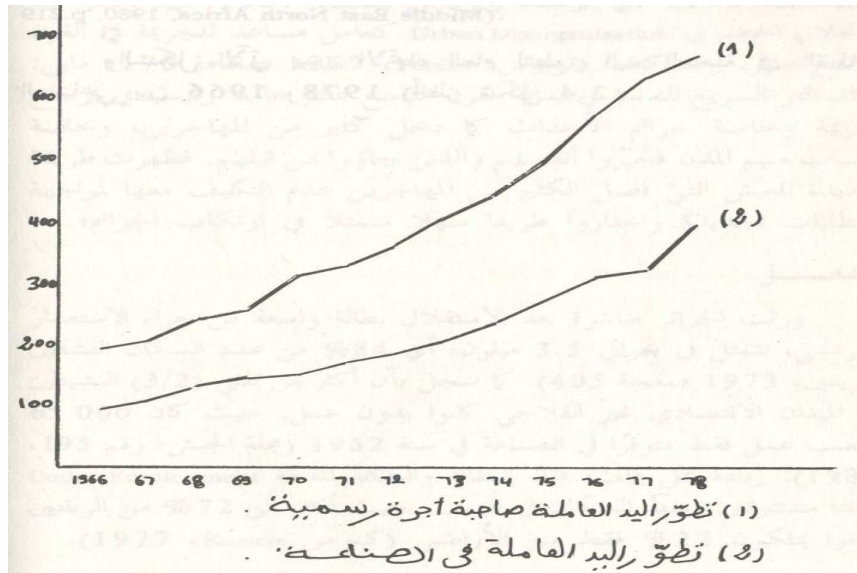
2.1) مراحل التغير الاجتماعي في الجزائر- الشغل²:-

ورثت الجزائر مباشرة بعد الاستقلال، بطالة واسعة من جراء لاستعمار الفرنسي، تتمثل في 3.5 مليون بطال، أي 84% من عدد السكان النشطين، كما سجل بأن أكثر من ثلثي (2/3) النشطين في الميدان الاقتصادي غير الفلاحي كانوا بدون عمل . حيث كان 65000 منصب عمل فقط متوفر في الصناعة في سنة 1962 زيادة على ذلك، فإن البطالة والبطالة المقننة كنتا منتشرتين وسط سكان الريف، حيث أكثر من 72% من الريفيين كانوا يملكون 22% فقط من الأراضي.

وعليه فقد سطرت برامج اقتصادية كثيرة وبالتالي توفرت الآلاف من مناصب العمل. وقد سجل خلق 600000 منصب شغل عن طريق التصنيع خلال الفترة من 1965-1974، وخاصة في المناطق الحضرية مثل عنابة، سكيكدة، قسنطينة، قالمة، سطيف وبجاية، وفي ولايات أخرى التي عرفت وتعرف تغيرا اجتماعيا ملحوظا، زيادة إلى ذلك فإن الحكومة الجزائرية خططت أيضا لخلق 450000 منصب عمل في القطاع الغير فلاحي خلال الفترة من 1974-1977، هادفة بذلك مشكل البطالة مع سنة 1980. والشكل التالي يوضح الاتجاه العام لتطور اليد العاملة في القطاع الصناعي بين 1966-1978 كما يلي:

¹ ابراهيم عيسى عثمان- مقدمة في علم الاجتماع - دار الشروق - 2009 ص337.

² علي مانع-جنوح الاحداث والتغير الاجتماعي في الجزائر المعاصرة-ديوان المطبوعات الجامعية- 1996 ص138



(2) تعريف التحول الديمغرافي:

تتكون كلمة التحول الديموغرافي من مقطع التحول والذي يقصد به التغير والانتقال من حالة واضحة إلى حالة تكون غامضة أو واضحة كسابقتها، ديموغرافي والتي يقصد بها العلم الذي يهتم بدراسة الجانب السكاني وأهم التطورات و التغيرات الحاصلة عليه، من هنا يمكن تعريف التحول الديمغرافي على انه: جملة التغيرات والتطورات الحاصلة على البنية السكانية خلال مدة زمنية معينة، تختلف من حيث خصائصها عن مرحلة التي سبقتها.

و هو أيضا وجود تغير في معدل نمو السكان، يعكس بدوره تزايدا غير متعادل من حيث التغير في معدلات المواليد والوفيات، و غالبا ما تحدث العملية نتيجة التصنيع أو التطورات العصرية¹.

هو المرور من وضعية توازن ذات خصوبة و وفيات عاليتين إلى وضعية توازن ذات خصوبة و وفيات منخفضتين خلال مدة زمنية و هذا موازيا للتنمية الاجتماعية و اقتصادية².

و من خلال ما سبق ظهرت نظرية التحول الديمغرافي التي استخدمت لتفسير آلية معدلات النمو السكاني في أوروبا الغربية، حيث اكتسبت زخما كبيرا بعد كتابات دافيز في عام 1945م رغم أن الجوهر الكامل للعلاقة بين التحديث و انخفاض

¹ ميمونة مناصرية- التحول الديمغرافي وأثاره على التشوه العمراني - مذكرة لنيل درجة الماجستير - 2005- ص24.

² بعيث فاتح - الانتقال الديمغرافي في الجزائر - مذكرة لنيل شهادة الماجستير - 2008 - ص 16.

الوفيات و الخصوبة إضافة للمراحل الثلاث صيغت من قبل نوتستين، وقد وضع نوتستين هيكلية لتفسير الكلاسيكي لتحول الديمغرافي¹.

كما أن النمو الاقتصادي في دول أوروبا قد استدعى زيادة السكان ، حيث كانت فرنسا أول دول أوروبا في نسبة السكان في القرن 17 ثم فقدت مركزها في القرن 18 ، و لم تستطع الحروب النابليونية أن تعيد إليها مركزها القديم ، وهكذا تناقص السكان الفرنسيون بالنسبة لبقية سكان أوروبا، فبعد أن كانت تشير هذه العملية إلى وجود تغير في معدل نمو السكان، يعكس بدوره تزايداً غير متعادل من حيث التغير في معدلات المواليد والوفيات، وغالباً ما تحدث العملية نتيجة التصنيع أو التطورات العصرية²

وفي سياق حديثه عن النمو الحضري أكد السيد الحسيني بأنه يرتبط عموماً بزيادة السكان بوجه عام، وأنه إلى غاية منتصف القرن 17 لم يكن عدد السكان في العالم يزداد بأكثر من 0.4 % سنوياً، وبقدوم القرن 18 تضاعف عدد السكان في العالم مرة واحدة، ويصف بعض الدارسين هذه التغيرات السكانية بأنها تعبير عن "تحول ديموغرافي" أو "ثورة ديموغرافية" ولقد طرأت زيادة سكانية مفاجئة خلال النصف الأخير من القرن 18 ، ولم يكن مصدر هذه الزيادة ارتفاع معدلات المواليد فقط، بل أيضاً انخفاض معدلات الوفيات. وبفضلاً عن ذلك استمرت هذه الزيادة السكانية في الارتفاع خلال القرنين 19 و 20، وهو ما دفع ببعض الباحثين إلى استخدام مصطلح "التحول الديمغرافي" للإشارة إلى الانتقال من مرحلة ارتفاع معدلات المواليد (التي كان يقابلها، ارتفاع معدلات الوفيات (إلى مرحلة انخفاض معدلات الوفيات وصولاً إلى مرحلة انخفاض معدلات المواليد التي تنتهي بتحقيق

نوع من التوازن النسبي بين نسب الميلاد ونسب الوفاة، ويمكن تفسير انخفاض معدلات الوفيات في ضوء التطورات التكنولوجية التي طرأت في مجال الزراعة³

¹ صالي محمد - مقياس نظرية التحول الديمغرافي - بالنصرف

² حسين احمد سعد الشديدي- "مقالة بعنوان: التوظيف الأمثل لفرصة التحول الديموغرافي (الهبة الديموغرافية) -جامعة بغداد - مركز التخطيط الحضري والأقليمي للدارسات العليا.

³ ميمونة مناصرة- التحول الديمغرافي وأثاره على التشوه العمراني - مذكرة لنيل درجة الماجستير - 2005 ص 24.

2.2) مراحل التحول الديموغرافي¹:

لقد دفعت دراسة التغيرات التي طرأت على معدلي الوالادات والوفيات الخام في البلدان الصناعية خلال القرنين الماضيين إلى بلورة نموذج نظري يسعى إلى تفسير تطور ونمو السكان عبر الزمن عرف بنظرية التحول الديموغرافي، حيث تشرح هذه النظرية العالقة بين معدل الوالادات الخام ومعدل الوفيات الخام و على الرغم من محاولات أدولف الندي 1909-1934، وورن ثومبسون عام 1929، وكنغسلي دايفس عام 1945 كان للباحث فرانك نوتشتين الفضل في نشرها، والذي صاغها بشكل واضح في عام 1953 وفقا لهذه النظرية فهناك أربع مراحل للتحول الديموغرافي تمر بها المجتمعات البشرية:

المرحلة الأولى:

تتميز هذه المرحلة بارتفاع المعدل العام لكل من الوالادات والوفيات وبكونها بطيئة وقرية إلى الثبات وتبرز بشكل كبير في المجتمعات الزراعية ذات البناء الاجتماعي التقليدي المتخلف.

المرحلة الثانية:

تتميز بسرعة نمو السكان نتيجة هبوط معدلات الوفيات بدرجة أسرع من هبوط معدل الوالادات بسبب تحسن الأوضاع الصحية والاقتصادية والتعليمية، حيث أن الدول الصناعية المتقدمة قد مرت بهذه المرحلة واستمرت مدة طويلة قاربت قرنا كاملا، أما الدول النامية فكان دخولها لهذه المرحلة سريعا مستفيدة من التقدم الحاصل في مجالات الطب العلاجي والوقائي حيث وصل معدل النمو السكاني فيها إلى أكثر من 2% .

المرحلة الثالثة:

يبدأ النمو السكاني في هذه المرحلة في الانخفاض التدريجي نتيجة هبوط معدل الوالادات (معدل النمو بين 1%- 2 % سنويا وتسمى هذه 6 المرحلة بالمرحلة الانتقالية).

¹ حسين احمد سعد الشديدي - مقالة بعنوان: (التوظيف الأمثل لفرصة التحول الديموغرافي) - جامعة بغداد - ص6

المرحلة الرابعة :

تتميز النمو في هذه المرحلة بكونه متدرجا في الانخفاض ويسود نمط الأسرة صغيرة الحجم، وتتميز المجتمعات التي تدخل هذه المرحلة بانفتاح النافذة الديموغرافية فيها حيث يصل معدل النمو إلى اقل من 1% سنويا.

(3.2) مظاهر التحول الديموغرافي في الجزائر¹:

المرحلة الأولى: 1945-1901:

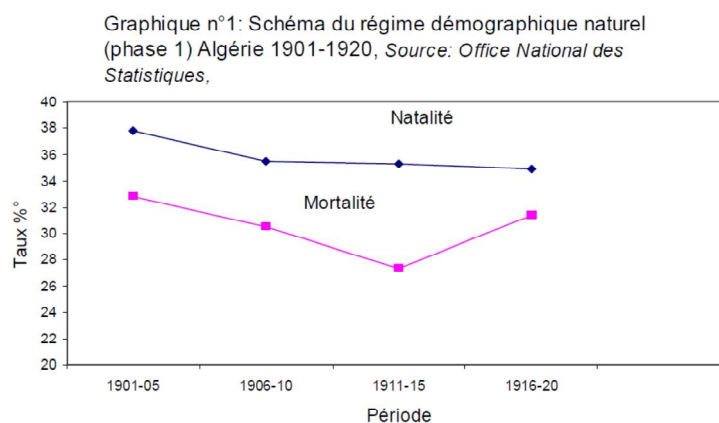
تتميز هذه المرحلة بنمو طبيعي قريب يتراوح من 0.5%، حيث شهدت ارتفاع كل من معدلات الولادات، ويمكن تقسيم هذه المرحلة إلى فترتين:

الفترة الأولى: 1901-1920:

عرفت هذه مرحلة معدل نمو لا يتجاوز 0.5%

الفترة الثانية: 1920-1945 :

بلغ معدل نمو بلغ حوالي 1%، فقد بدأت الوفيات بالانخفاض ابتداء من 1921 في حين بقي معدل مواليد مرتفعا، ليسجل معدل خام للوفيات وصل حد الذروة 43.1‰، حيث يرجع ذلك في الغالب للأحداث 8 ماي، وانتشار الأوبئة كالكلوليرا وتفويدها وإصابتها شريحة كبيرة من المجتمع.



¹ محمد صالي- مقياس: التحول الديموغرافي في الجزائر- 2013 - ص 28 - بالتصرف.

المرحلة الثانية: 1946-1985 :

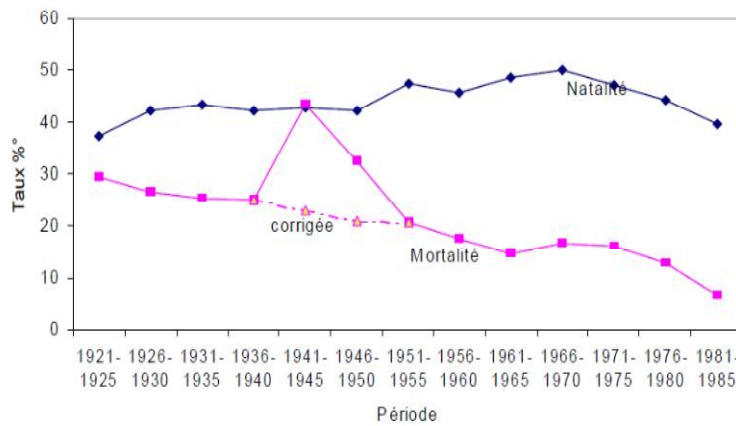
الفترة الأولى 1946-1970:

والتي تميزت بارتفاع معدل المواليد الناتجة عن الخصوبة الطبيعية حيث بلغ معدل المواليد مستوى لم يصل إليه من قبل بلوغه 47‰ سنة 1955 بعد أن تجاوز 45‰ عام 1951، كما تميزت الوفيات في هذه الفترة بالانخفاض المنتظم مع البقاء على مستوى أعلى من 15‰، إلا أن معدل النمو تجاوز 3‰ ابتداء من 1961 إلى 1965.

الفترة الثانية 1971-1985:

بلغ معدل المواليد في هذه الفترة ما يفوق 40‰، ومعدل وفيات ينخفض باستمرار لكنه يتجاوز 5‰، إلى غاية سنة 1985.

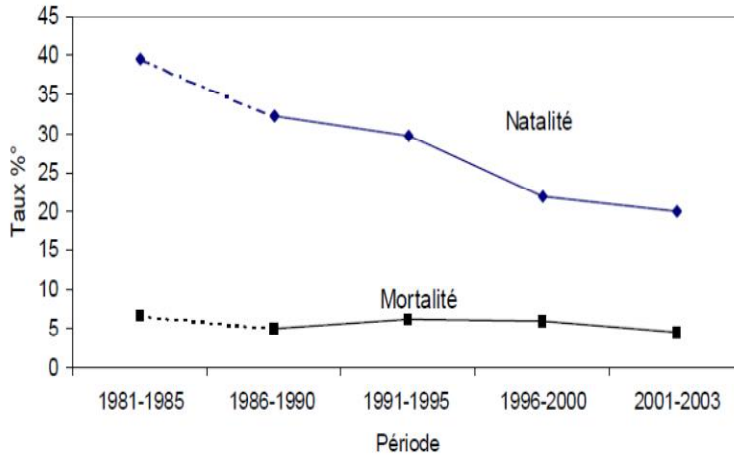
Graphique n°2: Evolution des indicateurs de la transition démographique Phase 2, Algérie 1921-1985 (Source des données: Office National des Statistiques)



المرحلة الثالثة: من 1986 إلى يومنا هذا:

شهدت هذه الفترة انخفاضا في معدل المواليد ومعدل الوفيات الذي بلغ 5‰ في الفترة 1986-1990 والذي تزامن مع بداية المرحلة الثالثة لنظرية التحول الديمغرافي. وفي الواقع فإن معدل النمو الطبيعي قد تراجع منذ عام 1986 ليصل إلى مستوى 1.4% عام 2002. إلا أنه ارتفع مجددا ليصل إلى 1.9% سنة 2008، ليستمر إلى في ارتفاعه إلى بلوغه 2.15% سنة 2014، ما يدل على وجود تذبذب كبير خاصة في فترة العشرية السوداء.

Graphique n°3: Evolution des indicateurs de la transition démographique, Phase 3, Algérie 1986-2003; Source:ONS



التحول السوسيوديمغرافي في الجزائر:

حسب تقرير مكتب منظمة العمل الدولية للقوى العاملة عام 2000 فانه سوف تزيد قوة العمل العالمية بنسبة 68% أي بمعدل يزيد عن 1 بليون، وتشكل هذه الزيادة تحديا رئيسيا خطيرا خاصة أمام الدول النامية في جهودها لتحقيق التنمية الكافية وتوفير وظائف وفرص العمل لقوة المتضاعفة الناتجة عن الانفجار السكاني فيها، فعندما تكون معدلات الخصوبة مرتفعة فان الفئة العمرية دون الخامسة عشر تشكل نسبة كبيرة مقارنة بنسبة البالغين الذين هم في سوق العمل، وبما أن السلوك الاقتصادي يختلف باختلاف مراحل الحياة عند البشر فانه يترتب على ذلك أن الهيكل العمري للسكان له اثر كبير على الأداء الاقتصادي للإنسان حيث أن جزء كبيرا من الدخل يذهب ليصرف على الإنفاق الاستهلاكي عندما ترتفع معدلات الخصوبة وتتسع قاعدة الهرم العمري للسكان.¹

إن جانبا كبيرا من الأسباب العامة للتمركز والتخلل السكاني في المدينة داخل المنطقة الحضرية قد استوعبه التراث الإجماعي في هذا الصدد، وإيجاز شديد يمكن القول أن اختراع الآلة البخارية وتطور نظام المصنع، وتطوير تقسيم المعمل واتساع الأسواق، وظهور الكثير من وظائف الخدمة المتخصصة، والتقدم الملحوظ في تكنولوجيات الزراعة إلى جانب اعتبارات باختلاف الزمان والمكان، كانت كلها من أهم العناصر التي ساهمت كثيرا في القوة الجاذبة التي أدت إلى خلق

¹ فرليس عباس فاضل البياتي- علم اجتماع السكان-دار الجيل - 2018 -ص230.

تجمعات حضرية كبيرة من السكان وبالمثل يمكن القول أيضا أن قدوم السيارة والطرق العامة الممهدة، ووسائل النقل الحديثة والأهمية المتزايدة للكهرباء، كمصدر للقوة والطاقة لتحريك وسائل النقل لمسافات طويلة، والتحسين المطرد في وسائل الاتصال¹، كانت كلها عوامل ساهمت في خلق العلاقة بين التغيرات الاجتماعية والمتمثلة خاصة في (الشغل)، والمتغير الديمغرافي والممثل في الغالب في معدل المواليد والنزوح السكاني.

لقد عانت الجزائر كثيرا من عبء النمو الديمغرافي خلال سنوات السبعينات والثمانينات، حيث وصلت معدلاته إلى أكثر من 3.8% ليشعر من ثمة في انخفاض منتظم، الشيء الذي جعل البعض يؤكد على دخول الجزائر مراحل الانتقال الديموغرافي. إن انخفاض معدل النمو الديمغرافي في الجزائر في السنوات الأخيرة، وانخفاض كل من معدل الولادات ومعدل الخصوبة العامة هو نتيجة الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها البلاد، ولا يعكس نضجا اجتماعيا وسيكولوجيا وهو ما تبينه الإحصائيات الأخيرة، إذ ارتفع معدل النمو الطبيعي وذلك نتيجة الانتعاش الاقتصادي الذي عرفته البلاد، ومن الناحية الاقتصادية عرف عدد المشغلين ارتفاعا مستمرا إلى جانب نسبة السكان النشطين²

الخلاصة:

إن التغير الاجتماعي بأبعاده الثقافية، الاقتصادية، وحتى سياسية يوحي بوجود إلزامية مباشرة لوجود ترابط بين هذه الأبعاد، ومن خلال قراءتنا لكتابات السيسولوجية حول التغير ومن خلال كل ما سبق، نستنتج في الأخير بأن التغير الديموغرافي جزء لا يتجزأ من التغير الاجتماعي العام، ورغم كون هذا الأخير يختلف عن مفهوم التقدم الاجتماعي، إلا أن حدوثه بأي صفة كانت يستلزم تأثيره المباشر على البنية السكانية بمختلف أبعادها، بما فيها السن، الجنس، وحتى التوزيع، المتمثل في حركة النزوح الريفي.

¹ مريم أحمد مصطفى، السيد عبد المعاطي، السيد السيد رشاد غنيم- التغير ودراسة المستقبل- دار المعرفة الجامعية ص 240- بالتصرف
² توبين علي - مذكرة ماجستير بعنوان: النمو الديمغرافي وأثره على التنمية الاقتصادية حالة الجزائر (1970-2002)- جامعة الجزائر ص 101.

قائمة المراجع والدراسات السابقة:

- (1) ميمونة مناصريه- التحول الديمغرافي وآثاره في التشوه العمراني- مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير - جامعة قسنطينة- 2005.
- (2) بعبط فاتح - الانتقال الديمغرافي في الجزائر - مذكرة لنيل شهادة الماجستير - 2008.
- (3) محمد صالي- مقياس : نظرية التحول الديمغرافي في الجزائر - 2013.
- (4) حسين احمد سعد الشديدي- "مقالة بعنوان: التوظيف الأمثل لفرصة التحول الديموغرافي (الهبة الديموغرافية) - جامعة بغداد - مركز التخطيط الحضري والأقليمي للدراسات العليا.
- (5) رعد مفيد أمجد - مقالة بعنوان: المؤشرات الزمنية للنافذة الديموغرافية وتداعياتها في العراق - الجامعة المستنصرية.
- (6) توين علي، رسالة ماجستير: النمو الديمغرافي وأثره على التنمية الاقتصادية، جامعة الجزائر، قسم العلوم الاقتصادية، 2003-2004.
- (7) بركاني وردة، رسالة ماجستير بعنوان: انتقال الخصوبة وأثره على التركيبة السكانية، ، قسم علم الاجتماع والديمغرافيا، جامعة باتنة، 2008-2009.
- (8) عيسى نور الدين، مقالة بعنوان: ظاهرة الشيخوخة في الجزائر و عوامل تطورها، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر 2، العدد 19 جوان 2015.
- (9) إبراهيم عيسى عثمان- مقدمة في علم الاجتماع - دار الشروق - 2009.
- (10) علي مانع- جنوح الأحداث والتغير الاجتماعي في الجزائر المعاصرة-ديوان المطبوعات الجامعية- 1996-ص138.
- (11) . فرلس عباس فاضل البياتي- علم اجتماع السكان- دار الجيل- 2013.
- (12) حمد عاطف غيث .قاموس علم الاجتماع .دار المعرفة الجامعية .الإسكندرية. 1989 .
- (13) السيد الحسيني .المدينة، دراسة في علم الاجتماع الحضري .ط 3. دار المعارف. 1985 .

14) مريم احمد مصطفى، السيد عبد المعاطي، السيد رشاد غنيم- التغير ودراسة المستقبل- دار المعرفة الجامعية.

15) موقع الالكتروني <http://populationpyramid.net/>